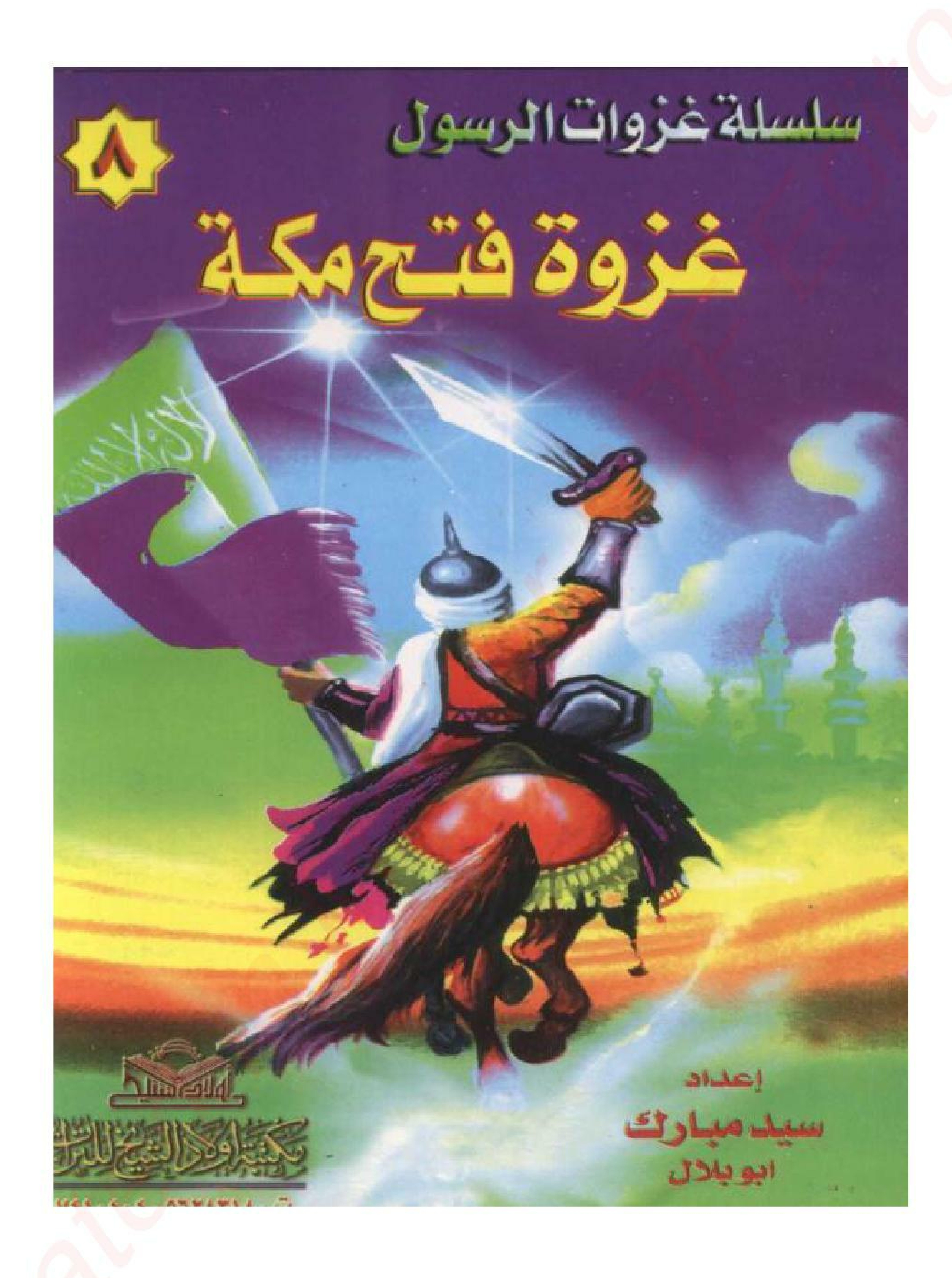

سلسلة غزوات الرسول
٨
غزوة فتح مكة
إعداد
سيد مبارك
ابو بلال
مكتبة أولاد الشيخ للتراث

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقـم الإيـداع	١٠٨٨٦/ ٢٠٠٢
الترقيم الدولى	977- 5986- 62-1





• ٣٦ ش اليابان خلف قاعة سيد درويش ت: ٥٦٢٨٣١٨
• ٤٢ ش إبراهيم عبد الله من ش المنشية الطوابق فيصل ت: ٧٤١٠٧٠٤

التجهيز الفنى: إبراهيم حسن

ت: ٥٦٠١٠٠٨

غزوة ما قبل غزوة الفتح

حدثت غزوة عظيمة قبل غزوة الفتح، وذلك سنة ٨هـ، وقد حدد النبى ﷺ زمانها ومكانها وعين أُمرَاءها وهم على الترتيب (زيد بن حارثة) مولاه أميرًا عليها، فإن أصيب (فجعفر بن أبى طالب)، فإن أصيب (فعبد الله بن رواحة)، وسميت هذه الغزوة بغزوة (مؤتة) وكان عدد أفرادها ثلاثة آلاف مقاتل ولكن ما سبب هذه الغزوة؟!

السبب أن النبى ﷺ بعث رسولاً هو (الحارث بن عمير) بكتاب له إلى عظيم بصرى، وكان عَامِلاً على (البلقان) من أرض الشام من قبل قيصر فأوثقه وقتله، وكان قتل السفراء أول الرسل أشنع الجرائم لهذا قرر النبى ﷺ غزوهم.

• الوصية النبوية العظيمة:

أوصى النبى ﷺ جنود المسلمين وأُمَرَاءهم الثلاثة أن

يأتوا مقتل (الحارث بن عمير)، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإما أن يستجيبوا وإلا أستعانوا بالله عليهم وقاتلوهم، وقال لهم: اغزوا بسم الله فى سبيل الله من كفر بالله، لا تَغْدِروا ولا تَغيروا، ولا تَقْتلوا وليدًا ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا مُنعزلاً بصومعةٍ، ولا تَقَطَعُوا نَخْلاً ولا شجرة، ولا تَهدِموا البناء.

• النصر أو الشهادة:

نزل المسلمين أرض يقال لها (معان) من بلاد الشام وعلموا أن (هرقل) قائد الروم نزل مآب من أرض (البلقان) فى مائة ألف من الروم ومائة ألف أخرى من العرب المنتصرة من لخم وجذام وبلقين وبلى، وكان هذا جيشًا عظيمًا إذ كيف لثلاثة آلاف مقاتل من المسلمين يهزمون جيشًا يضم مائتا ألفَ جندى؟!!

وقد تردد المسلمون وأرادوا أن يَكْتبوا للنبى ﷺ ليرسل إليهم المزيد من الرجال المقاتلين، ولكن كان (لعبد الله بن رواحة) رأياً أثار حميتهم جميعًا وشجعهم على القتال فى سبيل الله تعالى.

قال لهم رضى الله عنه: يا قوم والله إن الذى تكرهون للذى خرجتم تطلبون، إنه الشهادة وما نقاتل بعدد ولا قوة، ولا نُقاتلهم إلا بهذا الدين، فانطلقوا فما هى إلا إحدى الحسنيين (النصر أو الشهادة).

وتقدم المسلمين وقد زال التَرَدُد وقاتلوا جيش الروم بقيادة هرقل كأعظم ما يكون القتال.. ولكن ماذا حدث فى القتال وكيف أنتهى؟ لقد أُخبر النبى ﷺ الصحابة فى المدينة وهو على المنبر بأحداث المعركة وكأنه يُديرُها ويشاهد سير القتال فيها فماذا قال ﷺ؟

• النبى ﷺ يصف معركة مؤتة:

وصف النبى ﷺ وهو على المنبر فى المدينة احداث المعركة فقال: (باب خير باب خير باب خير. أخبركم عن جيشكم هذا الغازى، إنهم لقوا العدو، فقُتل زيد شهيدًا فاستَغْفَر له، ثم أخذ اللواء (جعفر) فسد على القوم حتى قُتل شهيدًا فاستَغْفَر له، ثم أخذ اللواء (عبدالله بن رواحة) وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون ثم

قال ﷺ: (مقاتل القوم حتى قُتل شهيدًا) ثم قال: (لقد رُفعوا إلى الجنة على سُرِرٍ من ذهب، فرأيت فى سرير (ابن رواحة) أزورارًا عن سريرى صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل: مضيا، وترددا بعض التردد، ثم مضى» ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية (ثابت بن أرقم) الأنصارى، وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فاصْطَلَحوا على (خالد بن الوليد)، فقال رسول الله ﷺ: (ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله (خالد بن الوليد) فعاد بالناس».

وهكذا بفضل الله ورحمته استطاع سيف الله خالد بن الوليد بما يملك من زكاء وخدع حربية أن يفلت بجيش المسلمين بأقل الخسائر ولم يتجرأ الرومان على مطاردتهم، واستشهد يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلاً فقط، مما أثار عجب العرب أجمعين. إذ كيف لجيش صغير من ثلاثة آلاف إن يستطيع العودة دون خسارة كبيرة وهو يوجه جيشًا عظيمًا قوامه مائتا ألف؟

وآمن الكثير من القبائل العربية بأن المسلمون مؤيدُون

من الله، وأن صاحبهم رسول الله حقًا فدخل الكثير منهم فى دين الله جل وعلا.

غــزوة فتـح مكـة

وهذه غزوة عظيمة للمسلمين بعد أن صاروا قوة لا يُستهان بها وسبب فتح مكة هو نقض قريش للعهد الذى كان بينها وبين النبى ﷺ فيما عُرف (بصلح الحديبية)، وقرر النبى ﷺ غزو مكة وفتحها وتحطيم الأصنام فقد آن الاوان ليعُم التوحيد أرجاء الجزيرة العربية، وبدأ تجهيز الجيش.

• قريش ترسل أبو سفيان لتجديد الصلح:

أدركت قريش خطأها فأرسلت (أبو سفيان) ليجدد الصلح ويصلح ما أفسدته من غدرها ونَقْضِها لما عاهدت النبى ﷺ عليه، وجاء أبو سفيان إلى المدينة فدخل على ابنته أم المؤمنين (أم حبيبة) رضى الله عنها وحدث موقف رائع من أم المؤمنين فقد أراد أبوها أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ فأسرعت وطوته عنه.. فتعجب وقال: يا بنية، أرَغِبْتِ بى عن هذا

الفراش، أم رغبت به عنى؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس فقال: والله لقد أصابك بعدى شر.

ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه فلم يرد عليه، ثم ذهب إلى (أبى بكر) ليكلم النبى فى أمره فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى (عمر بن الخطاب) فكلمه فقال: ما أنا بشافع لكم إلى رسول الله ﷺ، ووالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ثم أتى (عليًا) فكلمه فى ذلك فقال له: والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه فنادى فاطمة، يا بنت محمد هل لك أن تأمرى ابنك هذا - يشير إلى الحسن وهو يومها غلام - أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب؟ فقالت: ما بلغ ابنى أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد، ثم قال لعلى انصحنى قال له:

إنك سيد كنَانة فقم فأجر بين الناس والتحق بأرضك ففعل كما قال له علىّ فلما عاد وأخبر قومه فقالوا: والله ما زاد علىّ أن سخر منك!!

• الجيش الإسلامي يسير الى مكة:

عشرة آلاف مقاتل من المسلمين اتجهوا إلى مكة لفتحها بقيادة القائد الأعظم الحبيب المصطفى ﷺ، وكان قد استخلف على المدينة فى غيابه (أبا رهم الغفارى)، وذلك لعشر مضين من رمضان، وسار بالجيش حتى نزل مكان يسمى «بمر الظهران» وهو غير بعيد عن مكة، فأمر الجيش، فأوقدوا النيران وعسكروا فى هذا المكان، وخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ يستكشف المكان، ومن جهة أخرى كان (أبو سفيان) ومعه غيره يتحسسون الأخبار ورأوا نيران المعسكر تشتعل وتضىء الساحة كلها.

فقال أبو سفيان: ما رأيت نيرانًا أكثر من هذه، وسمعه العباس الذى كان قريبًا منهم فى رحلته الاستكشافية فناداه.. ثم قال له: هذا رسول الله ﷺ فى المسلمين، وقد جاء إليكم فى عشرة آلاف، قال فما تأمرنى؟ قال له العباس: تركب معى فأستأمن لك رسول الله ﷺ، فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك.

وصار (العباس) ومعه (أبو سفيان) إلى النبى ﷺ وأراد (عمر) أن ينال منه، ولكن (العباس) سبقه حتى قال له النبى ﷺ: (اذهب فقد آمناه حتى تغدو علىّ به الغُداة).

● **إسلام أبو سفيان:**

فلما كان الغداة قال النبى ﷺ لأبو سفيان: (ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» قال: بلى بأبى أنت وأمى يا رسول الله والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئًا بعد. قال: ويحك ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟ فقال أبو سفيان: بأبى أنت وأمى أما هذه ففى النفس منها شىء.

قال العباس: فقلت له: ويحك تشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك، فأسلم (أبو سفيان) وتشهد لله الحمد والمنة.

ولان (أبو سفيان) يحب الفخر فقد أنزله النبى ﷺ منزلته وخصه بشيئًا يميزه عن قومه فقال ﷺ: (فليدخل

مكة وليقل: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابهِ فهو آمن).. فعاد مكة وأخبرهُم فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

• دخول جيش المسلمين مكة:

قبل دخول مكة أعطى النبى ﷺ راية الانصار (لسعد ابن عبادة) فلماً مر بأبى سفيان، قال: اليوم يوم الملحمة واليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشًا فأخبر (أبو سفيان) النبى ﷺ فقال «كذب سعد، ولكن هذا اليوم يوم تُعظَّم فيه الكعبة.. اليوم أعزَ اللهُ قريشًا)، ثم نزع اللواء من سعد ودفعه إلى قيس ابنه.

وسار النبى ﷺ حتى دخل مكة من أعلاها، وأمر خالد بن الوليد فدخلها من أسفلِها، وقال: (إن عرضَ لكم أحد من قريش فأحصدوهم حصدًا حتى توافونى على الصفا).

وحدث بعض القتال فى مكان يقال به الخندقة

فأصيب من المشركين اثنى عشر، ثم انهزموا، ولحق خالد بالنبى ﷺ عند الصفا.

• الرسول ﷺ يحطم الأصنام:

دخل رسول الله ﷺ المسجد والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، فأقبل إلى الحجر الأسود، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، وفى يده قوس وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بالقوس، ويقول: **﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾** (الإسراء: ٨١).

والأصنام تتساقط على وجوهها.

وقد طاف على راحلته واقتصر على الطواف فلما أكمله دعا (عثمان بن طلحة) فأخذ منه مفتاح الكعبة المشرفة، فأمر بها ففتحت، فدخلها، فرى فيها الصور.. صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - يستقسمان بالأزلام، فقال: قاتلهم الله والله ما استقسما بها قط، ورأى فى الكعبة حمامة من عِيدان فكسرها

بيده وأمر بالصور فمحيت.

وأراد (على بن أبى طالب) رضى الله عنه أن يكون معه مفتاح الكعبة، ولكن النبى ﷺ قال: أين (عثمان ابن طلحة)؟ فدعى له. فقال: (هاك مفتاحك يا (عثمان)، اليوم يوم بر ووفاء)

• محاولة لقتل النبى ﷺ وهو يطوف:

عندما كان النبى ﷺ يطوف فى البيت كان (فضالة ابن عمير) يترقب الفرصة لقتله ﷺ وهو يطوف وحدَّث نفسه بذلك، فلما اقترب من النبى ﷺ باغته النبى ﷺ فقال «أفضالة؟» قال! نعم، فضالة يا رسول الله. قال: (ماذا كنت تُحدِثُ به نفسك؟) قال: لا شىء كنت أذكر الله. قال: فضحك النبى ﷺ، ثم قال: «استغفر الله» ثم وضع يده على صدره فسكنَ قلبه فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب إلىَّ منه.

• النبى يصلى فى الكعبة ويخطب فى قريش:

صلى النبى ﷺ فى الكعبة ثم قال: لا إله إلا الله

وحده لا شريك له، صدق وعدهُ، ونصر عبدهُ وهزمَ الأحزابَ وحدهُ.

ألا كل دم أو مأثره أو مال يُدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج.

ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا - ففيه الدية مُغلظة مائة من الإبل أو أربعون منها فى بطون أولادها.

ثم قال لقريش: يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟

قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله منهم.

• البيعة على الاسلام:

تقدم الرجال يبايعون النبى ﷺ ثم تقدمت النساء وكانت بينهن (هند بنت عتبة) متنكرة لما صنعت بعمه (حمزة) فى غزوة أحد فلما تابت وأسلمت وبايعته ﷺ عفا عنها؛ لأن الإسلام يهد ما كان قبله وحانت لحظة الصلاة.. فأمر النبى ﷺ بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة.

وارتفع صوته الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمدًا رسول الله.

ثم دخل ﷺ دار أم هانئ فاغتسل، وصلى ثمان ركعات، صلاة الفتح، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا بلدًا صلوا هذه الصلاة.

ثم أمر النبى ﷺ منادى ينادى فى مكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فلا يدع فى بيته صنمًا إلا كسَّرهُ.

• تخوف الانصار من بقاء الرسول فى مكة:

لما فتح النبى ﷺ مكة وهى بلدهُ وموطنه قال الانصار: أترون رسول الله ﷺ إذا فتح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها - وهو يدعو على الصفا رافعًا يديه - فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شىء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال ﷺ: معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم.

وظل النبى ﷺ بمكة تسعة عشرَ يومًا يجدد معالم الإسلام ويُرشد الناس إلى الهُدى والتُقى، وأمر أبا أسيد الخزاعى فجدد أنصاب الحرم وبث سَراياه للدعوة إلى الإسلام وكسر الاصنام حول مكة، فكُسِّرت كلها.

وهكذا تم فتح مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ سيد مبارك (أبو بلال)